المجتمع ، والمحبة للمسنّين ، والشفقة للمحتضَرين ، لهو الدليل على مدى حبّهم للإنسان . حتى كرامةُ المُلْحِد نفسها يعترفون بها بنوع خاصّ ، وإن كان الكفر بالله ينطوي على الكثير من الأخطار على كرامة الانسان وسلام العالم . إن المؤمنين إذا ما أظهروا للمُلْحدين أنّ كل إنسان «سبيل الى الله» يستطيعون أن يوحوا لهم على أحسن وجه ، أن الإنسان «صورة الله والتعبير الأسمى لكل الخليقة المنظورة» ، لمجد مَنْ خلقه فكرّمه .

فالمسيحيّون مدعوّون الى التعاون مع المسلمين في سبيل تقديم احترامهم أوّلاً لأولئك الذين تميّزهم «التطويبات» الإنجيليّة ، والسعي الى خدمتهم خدمة فعالة . يقول الإنجيل : «طُوبَى للمَسَاكِينِ بالرُّوحِ ، فَإِنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ . طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ فَإِنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ . طُوبَى لِلْحَزَانَى فَإِنَّهُمْ يُعَزَّوْنَ . طُوبَى لِلْجِيَاعِ والعِطَاشِ إِلَى البِرِّ فَإِنَّهُمْ يُشْبَعُونَ . طُوبَى للرُّحَمَاءِ فَإِنَّهُمْ يُرْحَمُونَ . طُوبَى لِأَنْقِيَاءِ القُلُوبِ فَإِنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ . طُوبَى لِفَاعِلِي السَّلامِ فَإِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللهِ . طُوبَى لِلمُضْطَهَدِينَ مِنْ أَجْلِ البِرِّ فَإِنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (متى ٥، ٣-١٠) . أمّا المسلمون فلا ينسون أن القرآن يحضّهم على تطبيق مثالهم الأعلى الخاصّ في العدالة والرحمة : «وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» (القرآن ٤، ٣٦) . فكل الذين هم على صلة بإبراهيم يستطيعون أن يتّفقوا معًا على ملاقاة أولئك الذين يلتزمون «الشرعة العالميّة لحقوق الانسان» ، وتذكيرهم بأن أوّل من يجب أن يستفيدوا منها هم في الواقع من حرموها لمدّة طويلة جدًّا ، فمَا بَرِح صراخهم يصعد إلى الله .

٣ – التقدّم والازدهار في المجتمع البشريّ

إن كرامة الإنسان ، في مختلف وجوهها ، لا يمكن ضمانها إلّا في مجتمع كامل ، تسوده القيم التي تستدعيها تلك الكرامة وتقتضيها . أمّا المؤمنون فقد سعوا دائمًا إلى بناء مجتمع أخويّ تُحَلّ فيه أخيرًا المتناقضات التي تعاني منها الإنسانيّة . لقد عظّم المسلمون قديمًا «المدينة الفاضلة» ، وهم يفكّرون دومًا بأن يحقّقوا حضارة على الأرض تكون على حسب شرائع الله ، وإن اختلفت آراؤهم كثيرًا في الأساليب والمراحل والغاية التي يحاولون بلوغها . أمّا المسيحيّون فيعلمون أن «هيئة هذا العالم في زَوالٍ ، والله يُعِدّ لنا مسكنًا جديدًا وأرضاً جديدة تسودها العدالة ، وتغمر سعادتها وتفوق جميع الرغبات في السلام المختلجة في قلب الإنسان» (الجذل والأمل ، ٣٩) . ولكن «ترقّب الأرض الجديدة» هذا يجب أن يوقظ في الجميع الاهتمام بالشروع منذ الآن في بناء «جسم الأسرة البشريّة المتنامية ... بتنظيم أفضل للمجتمع البشريّ» (الجذل والأمل ، ٣٩) أليس في إطار هذا المجتمع المتعدّد الأديان والأجناس يدعى المسيحيّون والمسلمون الى العمل معًا ، إذ يسمع هؤلاء كتابهم يقول : «إِنَّا ... جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا»؟ (القرآن ٤٩، ١٣) .

وفي هذا السياق لا يتوانى المؤمنون في الاعتراف اليوم بأن «اتّساع التغيّرات وسرعتها يقتضيان بإلحاح ألّا يكتفي أحد ، بسبب التغاضي عن تطوّر الأمور ، أو الجمود ، بأخلاق فرديّة» (الجذل والأمل ، ٣٠) . وهم يتمنّون «أن يُعنى الجميع عناية شديدة بجعل التضامن الاجتماعيّ بين واجبات الإنسان المعاصر الرئيسة» حتى يحفزوا على وجه أفضل «الإرادة عند الجميع للمساهمة في المشاريع العامّة» والمشاركة «في الشؤون العامّة» (الجذل والأمل ، ٣١) . فالمسيحيّون والمسلمون إذن ، بتحديدهم مثالاً أعلى جديدًا للمسؤولية والمشاركة ، يستطيعون أن يعرضوا على معاصريهم تعاونًا يُحِلّ التضامن البشريّ في مكان الصدارة ، ويعترف بشرعيّة استقلال جميع الأشكال التي يتحقّق فيها ، وبكرامتها النسبيّة . ولكن عليهم أن يَحلّوا معًا «بعض المشاكل الأكثر إلحاحًا» ، والمرتبطة بالمصلحة العامّة ، كالزواج والأسرة ، والثقافة ، والحياة